

# انها معركةنا اولاً

حدثني أخ كريم من أبناء مصر عن بعض مشاهداته في تلك الايام التاريخية التي مرت على مصر، وكان حديثه وكل مشاعره تتركز على شيء واحد، وهو ان الشعب نفسه فوجيء بما كان يصدر عنه، وانه ليس من كلمة نفي بتصوير هذا الذي حدث غير كلمة الابداع، اذ ان كل شيء كان جديداً، وكل ساعة كانت تأتي بجديد لم يكن في الحسبان. دقة في التنظيم مع ابتكار مستمر لمواجهة ما يستجد من ظروف، وانسجام عضوي عميق بل تداخل وتفاعل وانصهار بين القوى النظامية والقوى الشعبية وتفتح رائع في جميع جوانب النفس. فالبطولة في القتال والصمود في المقاومة كان يرافقهما ويوازيهما وابتكار في الشعر والموسيقى، وبكلمة واحدة اصبحت الحرية في تلك الايام حياة متحققة.

ولم نفاجأ بما حدثنا به هذا الصديق. اذ ان كل عربي يؤمن في قرارة نفسه ان هذا الذي حدث في مصر ليس الا بداية المصير الرائع الذي ينتظر الامة العربية عندما تخوض بكاملها هذه المعركة التي ارادها الاستعمار في الظاهر ارادة سلبية اجرامية، واراقتها هي لنفسها في الحقيقة بمجرد ان ارادت التحرر والبناء وتحقيق المثل الانسانية.

والمهم بالنسبة للعرب ان يدخلوا جو الحياة الجديدة سواء اجرت المعركة بالحرب أم بالسلم، وسواء أكان النضال مسلحاً أو غير مسلح، وان ابرز ميزة تتميز بها قيادة جمال عبدالناصر انه رفع مصر وسائر الاقطار العربية الى المستوى الجدي الذي تتحول فيه المبادئ الى حقائق حية وعمل، والذي يدعو الشعب الى التضحية

الكبيرة دون مداراة او اشفاق، لأن كل ابعاد للشعب عن مجال التضحية هو في حقيقته تآمر على رجولته ونموه وتعويق لانطلاقه واكتشافه لنفسه ولغنى امكانياته الخبيثة، وهو بالتالي خدمة لقوى الاستعمار والفساد لكي تستمر في استعباده واستغلاله.

لقد عرف العالم واعلن مراراً وتكراراً ان هذه المعركة يفرضها الاستعمار الباغي واسرائيل الغاصبة على العرب ظلماً وعدواناً، وان العرب في موقف دفاع مشروع عن النفس لرد العدوان. ولقد عرف العالم واعلن ان هذه المعركة المفروضة على العرب لم تعد معركة العرب وحدهم بل تشاركهم فيها جميع الشعوب الحريضة على حريتها والمؤمنة بالعدالة والسلم والكارهة للاستعمار والعدوان والظلم. ولكننا نحن العرب نعرف ان هذه المعركة هي معركتنا اولاً قبل ان تكون معركة اعدائنا او اصدقائنا. فلولا نضالنا المتواصل وثوراتنا المتلاحقة ونهجنا المبدئي الحاسم لما دعر الاستعمار وتكتل وتورط متعرياً من كل قناع، متخبطاً في الكذب والمغالطات؛ ولولا صمودنا العنيد ومقاومتنا الباسلة ووحدتنا المتزايدة لما انتبهت شعوب العالم الى جدية قضيتنا وارتباط مصيرنا بمصير هذه الشعوب.

انها معركتنا لأن فيها كل الخير والخصب لحياتنا وحياة الانسانية، فكل يوم يطيل اجلها ويوسع رقعتها يوقظ قوى الخير والرجولة في امتنا، ويزيد في عدد المناضلين المؤمنين بالحرية والحياة الكريمة ويحد من عدد الفاسدين والعاثين ويحصر الخونة المتآمرين ويسلط عليهم الضوء لكشفهم واستئصالهم. ان كل توسيع للمعركة في الزمان والمكان يتيح الفرصة لظهور امكانيات شعبنا ولزيادة ثقته بنفسه ووعيه لمصيره ومعرفته لقوته وقوة الشعوب التي تصادقه وتؤيده، بينما يفضح ضعف الاستعمار وفقره وينقص من عدده ومن ثقته بنفسه، ويحرمه حتى مناصرة شعوبه.

انها معركتنا ولن نتخلى عنها لانها فرصتنا للحياة الجدية، فلأول مرة منذ قرون نستنشق هواءً نظيفاً منعشاً حتى من خلال التآمر والفساد. ونشعر بالحرية اقوى شعور حتى في جو الارهاب والتعذيب، لان المعركة جعلت التآمر والفساد شيئاً غريباً مستكراً منفصلاً عن حياة الشعب بعد ان كان متداخلاً فيها ومألوفاً لديها، ولان

المعركة أوصلت الارهاب والطغيان في بعض اجزاء وطننا الى اقصى درجاتهما نتيجة لتنبه الشعب ووضوح قضيته مما يؤذن بزوالهما السريع . وفي هذا الوقت الذي يبلغ فيه نضال الشعب العربي في مصر والجزائر وغيرهما حداً يثير اعجاب العالم ، تبلغ الخيانة بحكام بعض الاقطار العربية حداً ندر أن عرف مثله التاريخ ، وليس في هذا الا ما يقوي ايمان العرب ويزيد في استيشارهم في الخلاص القريب لانه مقياس لتلك القفزة التي حققوها في مجال الوعي والصلابة والجدية . ان نوري السعيد وزملاءه وامثاله لم يكونوا في السابق من المخلصين لوطنهم ، ولكنهم لم يخرجوا ويتدهوروا الى هذا الدرك من الخيانة والتآمر المفضوح على الامة العربية الا بعد ظهور جمال عبدالناصر وسيره في سياسته النضالية الحاسمة التي اكتسبت اليها مجموع الشعب العربي ، فاضطر الحكام المتعاونون مع الاستعمار ان يعوضوا عن خسارتهم الكاملة للشعب بمزيد من الارهاب والخيانة . وكان تحرر الشعب العربي من امراض سياسة المهادنة والمساومة وانصاف الحلول ينتج بصورة حتمية تجمع هذه الامراض وتكثفها واستفحاليها في ذلك العدد القليل المنبوذ من الذين باعوا انفسهم للاجنبي وامسوا بعزلتهم وقتلتهم واقتضاح امرهم برهاناً على سير الامة نحو الصحة والشفاء .

ان الشعب العربي بكامله يعرف ان المعركة ما زالت في بدايتها وان الذين يتجاهلون ذلك او ينكرونه ليسوا الادعاء للهزيمة وعملاء في خدمة الاجنبي يحاولون ان يخدروا يقظة الشعب ويعرقلوا تهيئته واعداه ، لأنهم راهنوا على انتصار الاجنبي المعتدي الغاصب وعلى انكسار امتهم وانهارها . والشعب العربي يعرف ان اولى ثمرات هذه المعركة انه سيقضي على هذا النوع الانهزامي المتآمر ليسلم كيانه القومي من كل مرض ولتتمكن الامة للعربية من اظهار جميع قواها وكفاءاتها في هذا النزاع الفاصل الذي يتقرر فيه مستقبلها ومستقبل القوى التقدمية في العالم .